بسم الله الرحمن الرحيم

الشروحات العلميّة المؤصلة (٧)

متون علم التوحيد (٣)

حاشية على رسالة
القواعد الأربع
أو طليعة حاشية كشف الشبهات

أملاها :

أبو عبد العزيز طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

خطيب مسجد الريِّان

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

Ibnhydra@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا إلى يوم الدين، وبعد :

فهذا إملاءٌ لطيف على رسالة القواعد الأربع للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله المتوفى ١٢٠٦هـ، أمليته على بعض الإخوان بمسجد مستشفى سيئون ليلة الاثنين ١٤٢١/٥/٢٨هـ ، وقد رتبته ليكون طليعة لشرح كشف الشبهات، فهو بمثابة القواعد الجامعة التي ترجع إليها أمهات الشبه التي يعارض بها القبوريون؛ وقد جاء ترتيبه على النحو التالي :

١. شرح المقدمة ببيان أربع قواعد مهمة جدًا، في معنى العبادة والتوحيد والشرك وخطورة الشرك، والثلاث المقدمات الأول علمية والأخيرة عاطفية، كما أن الثلاث القواعد الأول علمية والأخيرة عاطفية .

٢. شرح كل قاعدة من القواعد الأربع بتقرير المحكم من عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الله تعالى، وذلك من خلال :

أ- تقرير معنى القاعدة وما دلت عليه .

ب- التنويه بأهميتها .

ج- بيان أدلتها المحكمة .

د- تأصيل القاعدة وتوجيهها لفهم أصلها وما احتوت عليه .

هـ- نقل كلام الرازي إمام التوحيد عند الصوفية الأشعرية في تقرير ما قرره أئمة الدعوة .

و- بيان بهذه الألفاظ التي تحتاج إلى توضيح أو تعليق .

والله اسأل أن ينفعني والمسلمين بهذا الإملاء، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، اللهم آمين .

اللهم أنت المستعان،

وعليك التكلان،

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قول المصنف : (أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولاّك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مبارَكاً أينما كنت، وأن يجعلك ممّن إذا أُعطيَ شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة) .

بدأ المصنف رحمه الله تعالى هذه الرسالة النافعة بمقدمة دعائية كعادته في مصنفاته (اعلم رحمك الله، اعلم أرشدك الله لطاعته)، دفعاً لما يظنه بعض الجهلة عن دعوة الشيخ، فقد قال رحمه الله: عُرفت بأربع: بالتوحيد، والشرك، والقتال، والتكفير.

- وقد أشار في دعائه للقارئ أن السعادة والبركة في الدنيا: بأن يشكر العبد ربه على نعمه فيزيدها الله، أو أن يصبر على البلاء فيرفعه الله، والسعادة في الدنيا والآخرة: بأن يستغفر إذا أذنب فيتوب عليه الله، فعن عبدالله بن بسر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا"، رواه ابن ماجه.

• وقد ذكر المصنف رحمه الله في هذه التقدمة: أربع مقدمات هامة . دبّجها قبل ذكر قواعده الأربع . بدأها بقوله: اعلم، إذا عرفت .. كعادته في تصنيفه رحمه الله :

• **المقدمة الأولى:** عند قوله : (**اعلم أرشدك الله لطاعته: أن الحنيفيّة ملّة إبراهيم: أن تعبد الله مخلصاً له الدين كما قال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[الذاريات:٥٦]**):

. العبادة لها معنيان: فالمعنى اللغوي للعبادة: الخضوع والذل فإن اقترن بهما المحبة والانقياد أصبحت عبادة شرعية[١]، قال شيخ الإسلام: " وعبادته تتضمن كمال الذل له والحب له، وذلك يتضمن كمال طاعته"[٢]، وقال ابن القيم في نونيته:

وعبادة الرحمن غاية حبهِ *** مع ذل عابده، هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائرٌ *** ما دار حتى قامت القطبان[٣]

• **وتفيد هذه الجملة:**

(١) معرفة ضابط العبادة عند أهل السنة والجماعة، خلافاً لما ابتدعه القبوريون في معنى العبادة.

---

(١) انظر تفسير المنار ٥٧/١، وكلام قيم للشيخ مبارك الميلي في رسالته"الشرك ومظاهره"/٨٢ ـ ٨٣ .

(٢) التدمرية/٦٦ وانظر الفتوى ١٩/١٠ ومدارج السالكين ٧٤/١، وتفسير ابن كثير ٢٥/١.

(٣) شرح النونية لابن عيسى ٢٥٣/١، وشرح الهراس ٩٥/١.

(٢) معرفة متى ينتقل الفعل من الشرك الأصغر إلى الشرك الأكبر، وتحديد الفارق بين العبودية العامة والعبودية الخاصة فيما جاء في النصوص[١].

• **المقدمة الثانية:** عند قوله: (**فإذا عرفت أنّ الله خلقك لعبادته فاعلم: أنّ العبادة لا تسمّى عبادة إلا مع التوحيد، كما أنّ الصلاة لا تسمّى صلاة إلى مع الطهارة**):

ومما يضبط هذه المقدمة أن يُعلم أنَّ بابي توحيد الآلهية:

(١) توحيد الله بربوبيته، قال الله تعالى: (يا أيها الناس اعبدوا بكم الذي خلقكم ..) الآية.

(٢) توحيد الله بأسمائه وصفاته، قال الله تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم ..) الآية.

. **وتفيد هذه الجملة:**

(١) أن أصل شرك العالم: إما تعطيل الله عن كمال ربوبيته أو عن كمال أسمائه وصفاته العلى[٢].

(٢) أن تحقيق العبودية لله تعالى مراتب، يبلغها السالك بحسب تحقيق عقيدته في أفعال الله تعالى وأسمائه وصفاته[٣].

---

(١) انظر مدارج السالكين ١/١٠٥ ـ ١٠٦.
(٢) انظر نونية ابن القيم /٢٩٧ وشروحاتها عند هذا الموضع.
(٣) انظر الفوائد لابن القيم /١٧٠.

•المقدمة الثالثة: عند قوله : (**فإذا دخل الشرك في العبادة فسدتْ كالحدَث إذا دخل في الطهارة**):

ومما يجمع لك مسائل هذا الباب :

– أن تعلم أن حقيقة الشرك: صرف شيء من خصائص الله تعالى لغيره أياً كان[1]، ومن خصائص الله تعالى: كونه رب العالمين . وأنه علام الغيوب . وأنه مستحق للعبادة .

. وتفيد هذه الجملة:

(١) أن مفهوم الشرك مجرد صرف ما يستحقه الله لغيره، دون اشتراط اعتقاد الأفضلية أو المساواة كما يزعمه القبوريون.

(٢) أن الشرك إنما يحصل فيما هو من خصائص الله، لا فيما هو مشترك بين الخالق والمخلوق في أبواب الربوبية أو الآلهية أو الأسماء والصفات .

(٣) أن زعم المبتدعة أن أخص خصائص الله: القدم هو سبب ضلالهم في أبواب الأسماء والصفات والآلهية.

• المقدمة الرابعة: عند قوله : (**فإذا عرفتَ أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفتَ أنّ أهمّ ما عليك: معرفة ذلك،**

---

(١) فتاوى اللجنة / ١٦٥٣ (١ / ٧٤٦ الدويش) وانظر الدين الخالص ١ / ٧١ ورسالة الشرك ومظاهره للميلي/٥٨.

لعلّ الله أن يخلّصك من هذه الشَّبَكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله فيه: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)[النساء:١١٦]، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه):

أشار المصنف رحمه الله تعالى إلى أهمية معرفة خطر الشرك بالله لعل الله أن يخلص العبد منه، ومن خطر الشرك الأكبر:

(١) أن الله تعالى لا يغفره :(إن الله لا يغفر أن يشرك به ...) الآية.

(٢) وأنه يحبط جميع الأعمال ويفسدها كالحدث إذا دخل على الطهارة أفسدها، قال الله تعالى: (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين).

(٣) أنه يخلد صاحبه في النار، قال الله تعالى : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار).

بيان بعض ألفاظ المقدمة:

• قول المصنف: (**أن الحنيفيّة ملّة إبراهيم**): الحنيف: هو المائل عن الشرك المقبل على التوحيد، والملة: من الملل أي المعاودة والتكرار، فالملة: ما يعاوده العبد ويكرره من التكاليف الشرعية، وإبراهيم: هو الخليل عليه السلام، وقيل معناه بالسريانية: أب رحيم.

• قول المصنف: (**لعلّ الله أن يخلّصك من هذه الشَّبَكة**):

والتي بدأت بأوثان قوم نوح، ثم كسّرها النبي ﷺ في فتح مكة، ثم لن يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعُزى من جديد[١]، قال الشيخ خالد المصلح عند هذا الموضع من شرحه: فالشبكة إذا علق بها قدم الإنسان ماذا يكون به، وما الذي يحصل له ؟ الذي يحصل أنه يسقط، ثم قد يتعلق بجميع بدنه إذا حاول فكها، فتعلق بها يده، ثم يحاول باليد الأخرى فتعلق، حتى لا يستطيع أن يتخلص، وهذا تمثيل بديع للشرك، فإن الإنسان إذا تساهل في يسير الشرك أوشك أن يقع في عظيمه .

(١) انظر تفصيل قصة الشرك لزاماً في البداية والنهاية ٥٨٣/٢ وما بعدها، ومختصر السيرة /٤٨.

القاعدة الأولى :

- **قول المصنف (القاعدة الأولى: أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يُقِرُّون بأنّ الله تعالى هو الخالِق المدبِّر، وأنّ ذلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام، والدليل: قوله تعالى (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ)[يونس:٣١])**

- **معناها**:

١- أنّ كفار قريش كانوا مقرّين بأنّ الله الخالق الرازق المدبّر .

٢- أنّ إقرارهم بتوحيد الربوبيّة وحده لم يدخلهم في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحل دماءهم وأموالهم.

٣- أنّ القرآن الكريم يقررهم بتوحيد الله تعالى في ربوبيته، ثم يلزمهم أن يوحدوه سبحانه في آلهيته.

- أهميتها:

هذه القاعدة :

أ- تردّ على القبوريين في زعمهم أن توحيد الربوبية أصل دعوة الرسل، وأنّ من أقر بتوحيد الربوبية نجا من عذاب الله.

ب- تؤكد صحة تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد آلهية، وهو ما أنكره القبوريون، وأنّ الشرك يكون في الآلهية كما يكون في الربوبية.

ج- تنبه أنّ أصل الاعتراف بربوبية الله تعالى مستقر في الفطرة، وإنما جاءت الشرائع بتقرير هذا الباب لتغذية جانب إفراد الله تعالى بالعبادة .

- أدلتها:

(١) الآيات التي فيها تقرير المشركين بإيمانهم بربوبية الله وحده، والاستدلال على ذلك بأحقيّة إفراده تعالى بالعبادة دون ما سواه : كقوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} سورة يونس (٣١)- وقوله تعالى: {قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ. قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ.

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} سورة المؤمنون (٨٤-٨٩)- وقوله: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} سورة لقمان(٢٥)- وقوله: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} سورة العنكبوت (٦١)، ونحوها .

(٢) الآيات التي فيها وصفهم بالشرك ووقوعهم في مشاركة الله تعالى بغيره في العبادة، وهي كثيرة، فتفيد اعترافهم بالله جلّ جلاله، ومما يؤكد هذه الحقيقة قوله تعالى :{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ} سورة يوسف(١٠٦)، قال قتادة . رحمه الله .: "إنك لست تلقى أحداً إلا أنباك أنّ الله ربه ، وهو الذي خلقه ورزقه ، وهو مشرك في عبادته".(١)

(٣) الآيات التي فيها اعترافهم بالله تعالى: عند الشدة كقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} سورة يونس(٢٢)- وقوله: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} سورة الروم(٣٣)، وعند احتجاجهم بالقدر كقوله: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ

١- تفسير الطبري ٧٨/١٣.

الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ} سورة الأنعام(١٤٨)، وقوله: {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ } سورة النحل(٣٥)، وقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاء اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} سورة يس(٤٧)، ولما جعلوا الملائكة بناتاً لله، كقولهم: {أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ. وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ. وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ. وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} سورة الزخرف (١٥-٢٠)، وقوله تعالى: {أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ} سورة الصافات(١٥٠)، تعالى الله عن إفكهم.

(٤) الآيات التي فيها أنّ المشركين إنما أنكروا على الرسل إفراد الله بالعبادة، فلم ينكروا ربوبيته تعالى؛ كقوله تعالى: {قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } سورة الأعراف (٧٠)، وقوله: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} سورة ص(٥)، وقوله: {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} سورة الزمر(٤٥)، وقوله: {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا

وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} سورة الإسراء(٤٦) . (١)

- تأصيل القاعدة :

(١) ينبغي تقييد قولنا أن المشركين يؤمنون بتوحيد الربوبية بقولنا: في الجملة ، أو في أصله، أو كما قال المصنف . رحمه الله . هنا:"مقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر"، لأن من مشركي العرب من كان يشرك في بعض أفراد الربوبية؛ كفعلهم في التنجيم أو الطيرة، أو كقولهم مطرنا بنوء كذا. (٢)

(٢) أن توحيد الله بربوبيته يستلزم توحيده في آلهيته، وأن توحيد الله في آلهيته يتضمن توحيده في ربوبيته، وعليه فإنّ توحيد الربوبية لا تتحقق حقيقته . وإن وجدت صورته . حتى يلازمه إفراد الله بالعبادة، قال المصنف . رحمه الله . :"فأما توحيد الربوبية فهو الأصل، ولا يغلط في الآلهية إلا من لم يعطه حقه ". (٣)

- نقل عن الرازي إمام أئمة الأشعرية الصوفية :

قال في تفسيره عند قول الله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ

---

١ -وانظر الدعاء ومنزلته في العقيدة الإسلامية لجيلان العروسي ٨٥٩/٢-٨٦٠.
٢ - انظر رسالة حقيقة التوحيد للدكتور علي العلياني/١٣٧.
٣ - مؤلفات الإمام محمد عبد الوهاب ١٢١/٥، وانظر تقريرات العلامة محمد بن إبراهيم على" كشف الشبهات " /٣١.

اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} سورة الزمر(٣٨): "اعلم أنه تعالى لما أطنب في وعيد المشركين وفي وعد الموحدين، عاد إلى إقامة الدليل على تزييف طريقة عبدة الأصنام، وبنى هذا التصنيف علا أصلين : (الأصل الأول) هو أنّ هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم، وهو المراد بقوله تعالى {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}، واعلم أن من الناس من قال: إن العلم بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم متفق بين جمهور الخلائق لا نزاع بينهم فيه، وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم ...". (١)

۞ وقد أثار القبوريون حول هذا الأصل المحكم شبُهات عديدة يأتي دحرها إن شاء الله في شرح رسالة "كشف الشبهات" للمصنف رحمه الله.

بيان بعض ألفاظ هذه القاعدة:

۞ قول المصنف (**يُقِرُّون بأنّ الله تعالى هو الخالِق المدبِّر**)، وفي نسخة: (**مقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر**) : فذكر المصنف ـ رحمه الله ـ ثلاثة أفراد من أفراد الربوبية وهي الخلق والرزق والتدبير، وهذه الأفراد هي أشهر أفراد الربوبية، وهي أصل توحيد الربوبية، وبعض المصنفين يذكر بدل الرزق: الملك، وهذه الأربعة ذكرها الله تعالى في الآية التي استدلّ بها المصنف هنا:

---

١ ـ ٢٨٢/٢٦.

(قل من يرزقكم من السماء والأرض) ← الرزق

(أمن يملك السمع والأبصار) ← الملك

(ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) ← الخلق

(ومن يدبر الأمر) ← التدبير

} (فسيقولون الله فقل أفلا تتقون)

القاعدة الثانية:

➢ **قول المصنف** (القاعدة الثانية: أنّهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشفاعة، فدليل القُربة قوله تعالى (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)[الزمر:٣]. ودليل الشفاعة قوله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)[يونس:١٨]، والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفيّة وشفاعة مثبَتة: فالشفاعة المنفيّة ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله، والدليل: قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ)[البقرة:٢٥٤].

والشفاعة المثبَتة هي: التي تُطلب من الله، والشّافع مُكْرَمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضيَ اللهُ قوله وعمله بعد الإذن كما قال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ

عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)[البقرة:٢٥٥]).

- معناها :

١- أن سبب كفر مشركي قريش هو دعاؤهم وتوجههم بالعبادات لغير الله طالبين منهم القربة عند الله والشفاعة .

٢- معنى الشفاعة: أن يطلب الشافع من الله تعالى للمشفوعين الحوائج؛ لأن معنى الشفاعة أن يضم المطلوب منه طلبه إلى الطالب؛ فيرفعه إلى من عنده الأمر.

٣- وأن الشفاعة على قسمين:

أ- الشفاعة المنفية : وهي ما طُلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله .

ب- والشفاعة المثبتة : وهي ما طُلب من الله تعالى، ولا بد أن يتحقق فيها شرطان :

١- إذن الله للشافع ورضاه عنه .

٢- رضا الله عن قول المشفوع له وعمله.

- أهميتها :

تردّ هذه القاعدة على القبورية من وجوه :

أ- في زعمهم أن سبب شرك قريش هو اعتقادهم النفع والضر في الأصنام.

ب- في خلطهم بين معنى التوسل المشروع والشفاعة المنفية.

ج- في دعواهم أن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والصالحين قد أعطوا الشفاعة المطلقة ، وقد وكلهم الله في أمر الخلائق .

- أدلتها :

(١) الآيات التي فيها أن التوجه لغير الله بقصد القربى من الله شرك وكفر؛ كقوله تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} سورة الزمر(٣)، وقوله {قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً. أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} سورة الإسراء (٥٦-٥٧)، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} سورة المائدة (٣٥).

(٢) الآيات التي فيها أنّ التوجه لغير الله بقصد الشفاعة عند الله شرك؛ كقوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} سورة يونس (١٨)، وقوله: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} سورة الأنعام(٩٤)، وقوله: {وَمَا لِي لاَ

أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ} سورة يس (٢٢-٢٣).

(٣) الآيات التي فيها نفي الشفاعة التي يظنها المشركون؛ كآية الأنعام {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } سورة الأنعام(٥١)، وآيتي سبأ {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ. وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } سورة سبأ (٢٢-٢٣)، وآية البقرة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} سورة البقرة(٢٥٤).

(٤) الآيات التي فيها أن الشفاعة المطلقة لله، وأنّ الله يكرم بها بعض الصالحين بشروط ذكرها القرآن في قوله تعالى: {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} سورة الزمر(٤٤)، وقوله: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} (٢٥٥) سورة البقرة، وقوله: {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى} سورة النجم(٢٦)، وقوله: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} سورة الأنبياء(٢٨) .

- تأصيل القاعدة :

(١) منزع اتخاذ الشفعاء مع الله عند جهلة القبورية: ظنهم أنّ هذا الصنيع تعظيمٌ لرب العالمين، وتقدير لجانب الربوبية، لئلا يتوصل إلى الله إلا بشفعاء كالوزراء عند الملوك، قال عبد الرحمن بن مهدي ـ رحمه الله ـ: " فهل هلكت المجوس إلا من جهة التعظيم، قالوا: الله أعظم من أن نعبده نحن، ولكن نعبد من هو أقرب إليه منّا ، فعبدوا الشمس وسجدوا لها؛ فأنزل الله: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [١]، وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته :

والشركُ فهو توسلٌ مقصوده الزلفى من الرب العظيمِ الشانِ
بعبادةِ المخلوقِ من حجرٍ ومن بشرٍ ومن قبرٍ و من أوثانِ
فالشرك تعظيمٌ بجهلٍ من قيا سِ الرب بالأمراءِ والسلطانِ[٢]

(٢) ومنزع اتخاذ الشفعاء مع الله عند طواغيت القبورية : هو قياسهم شفاعة الآخرة على شفاعة الدنيا ، فظنوا أنّ للشافع يوم القيامة القدرة على تغيير إرادة المشفوع عنده [٣] فوقعوا في الشرك ، والحق أنّ "حقيقة الشفاعة لا كما يظن المشركون والجهّال : أنّ الشفاعة هي كون الشفيع يشفع ابتداءً فيمن شاء ، بل الله يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام

١- من إبطال التأويلات لأبي يعلى (مخطوط) عن الدعاء ومنزلته للعروسي ٨٤١/٢.
٢- النونية /٢٩٨-٢٩٩.
٣- وانظر إغاثة اللهفان / ١٩٩-٢٠٠.

المحمود"[١]، ويوضح هذا ما جاء في حديث الشفاعة قال ﷺ: " آتي تحت العرش فأخر ساجداً؛ فيدعني ما شاء أن يدعني ثم يقال: ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تشفع، قال: فيحد لي حداً ؛ فأدخلهم الجنة " [٢] .

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته:

فلذا أقام الشافعين كرامةً لهم ورحمةَ صاحب العصيانِ

فالكلُ منه بدا ومرجعُه إليـ ـهِ وحده ما من إلهٍ ثانِ

غلطَ الألى جعلوا الشفاعة من سـ ـواهُ إليه دون الإذن من رحمنِ

هذه شفاعةُ كل ذي شركٍ فلا تعقد عليها يا أخا الإيمانِ [٣]

- نقل عن الرازي إمام أئمة الأشعرية الصوفية :

قال في تفسيره عند قوله تعالى (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ): "استفهام معناه الإنكار والنفي؛ أي لا يشفع عنده أحد إلا بأمره، وذلك أنّ المشركين كانوا يزعمون أنّ الأصنام تشفع لهم، وقد أخبرنا الله تعالى عنهم بأنهم يقولون (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) وقولهم (هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ) ثم بين الله ـ تعالى ـ أنهم لا يجدون هذا المطلوب، فقال: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ)، فأخبر الله تعالى أنه لا شفاعة عنده لأحد إلا من استثناه الله تعالى بقوله (إِلاَّ بِإِذْنِهِ)أ.هـ،[٤]

وقال: " واعلم أن المذاهب المفضية إلى الشرك أربعة ...ثم قال: ورابعها

١- انظر تيسير العزيز الحميد /٢٩٥.
٢- رواه الشيخان، وانظر كتاب الشفاعة لشيخنا الوادعي /٢٨-٢٩.
٣- النونية / ٢٩٩-٣٠٠.
٤- ٩/٧-١٠.

قول من قال : أنّا نعبد الأصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا، فقال تعالى في إبطال قولهم (وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)، فلا فائدة لعبادتكم غير الله فإنّ الله لا يأذن في الشفاعة لمن يعبد غيره ، فبطلبكم الشفاعة تفوتون على أنفسكم الشفاعة " أ.هـ . [1]

۞ وقد أثار القبوريون على هذا الأصل المحكم الكثير من الشبه ، يأتينا دحرها إن شاء الله عند شرح "كشف الشبهات ".

بيان بعض ألفاظ هذه القاعدة:

۞ قول المصنف (**لطلب القُرْبة والشفاعة**) : طلب القربة: هو طلب التوسط عند الغير لرفع المنزلة الأخروية عند الله، أمّا طلب الشفاعة فهي أعمُّ من ذلك فهو طلب التوسط عند الغير لجلب نفع أو دفع ضرٍ دنيوي أو أخروي، والله أعلم.

---

[1] - تفسيره ٢٥/٢٥٤-٢٥٥.

القاعدة الثالثة:

➢ قول المصنف (القاعدة الثالثة: أنّ النبي ﷺ ظهر على أُناسٍ متفرّقين في عباداتهم منهم مَن يعبُد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم مَن يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرِّق بينهم، والدليل قوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ)[البقرة:١٩٣]، ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ)[فصلت:٣٧]، ودليل الملائكة قوله تعالى: (وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا)[آل عمران:٨٠]، ودليل الأنبياء قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)[المائدة:١١٦]، ودليل الصالحين قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ

الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ...) الآية [الإسراء:٥٧]، ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى(١٩)وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى)[النجم:١٩-٢٠]، وحديث أبي واقدٍ الليثي ﷺ قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط... الحديث.) .

- معناها :

١- أنّ مشركي الأولين كانوا مختلفين في معبوداتهم وءالهتهم التي يدعون من دون الله .

٢- أنّ النبي ﷺ سوّى بينهم لما عبدوا غير الله، ولم يفرق بينهم، بل قاتلهم جميعاً حتى يكون الدين كله لله.

٣- أنّ قوله تعالى (لا تسجدوا)، (أرباباً)، (آلهين)، (يدعون)، وقوله ﷺ: "يعكفون" تدلّ على أن سبب شرك الأولين هو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله، وهو معنى اتخاذهم أرباباً وآلهة .

- أهميتها :

هذه القاعدة ترد على القبوريين من وجوه :

أ- في تفريقهم بين من يدعو الأصنام ومن يدعو الأنبياء والصالحين .

ب- في زعمهم أنّ تعظيم الصالحين ودعاؤهم والعكوف لهم والتبرك بهم لا يوصل للشرك .

ج- في زعمهم أن الأولين إنما أشركوا لما جعلوا الملائكة بناتاً لله جلّ وعلا عن إفكهم، وأما دعاؤهم غير الله معه فليس بشرك .

- أدلتها :

(١) الآيات التي عددت عليهم معبوداتهم من دون الله؛ كقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} سورة فصلت(٣٧)، وقوله: {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} سورة آل عمران(٨٠)، وقوله: {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ} سورة المائدة(١١٦)، {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} سورة

الإسراء(٥٧)، وقوله: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} سورة النجم (١٩-٢٠).

(٢) الآيات التي قررت أن الأولين إنما عبدوا عباداً لله؛ كآية الأعراف {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} سورة الأعراف(١٩٤)، وآيتي الأنبياء:{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ} سورة الأنبياء(١٠١-١٠٢)، وآية الإسراء: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} سورة الإسراء(٥٧).

(٣) الآيات التي ذكرت معبوداتهم من دون الله بضمير العقلاء؛ كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} سورة النحل(٢٠-٢١)، وقوله: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ. وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} سورة الأحقاف (٥-٦)، وقوله: {قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ} سورة الشعراء (٧٢-٧٣).

- تأصيل القاعدة :

(١) أصل شرك العالم هو عبادة الملائكة والصالحين من دون الله تعالى، فقد بدأ شرك قوم نوح لما قال لهم الشيطان: "لو صورتم صورهم، فكنتم تنظرون إليهم فتتذكرون عبادتهم"؛ فرمزوا للصالحين بالأصنام، ثم عبدوها من دون الله، وهكذا لما ظنّ قوم إبراهيم أن الملائكة شفعاء عند الله . الشفاعة الشركية . رمزوا لهم بالكواكب المرئية، ولما كانت تلك الكواكب قد تحتجب عنهم، صوروا صور الكواكب في هياكل أرضية ثم عبدوها . وهذه فلسفة الرمز عند الوثنيين- [١] .

ثم تعلقت القلوب الفارغة من التألّه لله بتلك الرموز، إذ كانت مرئيّةً لها، وكان الجن يحلون فيها؛ فتجيب من يدعوها، وقد تقضي لهم بعض الحاجات مقابل ما يُصرف لها من عبادات ونذور .

وقد تبقى هذه الفلسفة- فلسفة الرمز- راسخة في قلوب الوثنيين؛ كما ذكر الكلبي في كتابة (الأصنام) وابن اسحاق في سيرته : " أنهم كانوا لا يَظْعَنُ من مكةَ ظاعن إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم ، تعظيماً للحرم وصبابة به، فحيثما حلّ وضعوه وطافوا به؛ كطوافهم بالكعبة تيمناً منهم بها ، وصبابة بالحرم، وحبّاً له " [٢] ، وقد يغفل عن ذلك بعض جهلتهم فيتوجّه لذات الرمز كما روى أبو الرجاء العطاردي: "كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو أخير ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد

---

[١] - انظر قاعدة التوسل/١٥٥، ومجموع الفتاوى ٣٦١/١، وتفسير الرازي٢٤١/٢٦، ٣٧/١٣-٣٩.

[٢] - انظر السيرة النبوية لابن كثير ٦٢/١.

حجراً جمعنا جُثوه من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناها عليه ثم طفنا به ..."[١].

- وإذا كان هذا الشرك قد صُرف لما يرمز للعبد الصالح ، فلأن يُعبد قبر الصالح و يشرك به أولى [٢]، ثم تتأصل هذه الفلسفة مرة أخرى وتتجذر في القلوب لما يعتقد القبوريون أن بركة المقبور قد فاضت على ما حوله ، فيُقبّل ضريحه ويُتمسح بترابه !! .

(٢) وما يتفرع عن الأصل السابق يجيب عن كثير من التساؤلات ونفهم به ما جاء في النصوص الشرعية من أخبار المشركين؛ فتجد القرآن يخاطب الوثنيين بحسب رسوخهم في هذه الفلسفة :

١. فتارة يخاطبهم أنّهم يعبدون الملائكة؛ كقوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} سورة سبأ(٤٠)، وقوله: {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} سورة الزخرف(٢٠)، أو الصالحين؛ كقوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} سورة الإسراء(٥٧)، {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} سورة الأعراف(١٩٤).

---

[١] - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب وفد بني حنيفة.
٢ - اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميه /٣٣٤ .

٢. وتارة على أنّهم يعبدون الكواكب؛ كقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} سورة فصلت(٣٧)، وقوله:{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ} سورة الأنعام(٧٦).

٣. وتارة على أنّهم يعبدون الجن؛ كقوله تعالى: {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا} سورة النساء(١١٧)، وقوله: {قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ} سورة سبأ(٤١).

٤. وتارة على أنّهم يعبدون رؤساء الذين يزينون لهم ذلك؛ كقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ. إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ} سورة البقرة (١٦٥-١٦٦)، وقوله: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} سورة التوبة(٣١).

٥. وتارة على أنّهم يعبدون الأصنام والأوثان؛ كقوله تعالى: {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ} سورة

الأعراف(١٩٥)، وقوله: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} سورة الحج(٣٠).

٦. وتارة على أنّهم يعبدون ما لا وجود له البتّة؛ كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} سورة العنكبوت(٤٢)، وقوله: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} سورة يونس(١٨) [1].

نقل عن الرازي إمام أئمة الأشعرية الصوفية :

قال في تفسيره عند قول الله تعالى (قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) : " واعلم أنّ الكفار أوردوا على هذا الكلام سؤالاً فقالوا : نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنّها آلهة تضر وتنفع ، وإنما نعبدها لأجل أنها تماثيل لأشخاص كانوا عند الله من المقربين ، فنحن نعبدها لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء لنا عند الله، فأجاب الله تعالى بأن قال :(أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ) وتقرير الجواب: أنّ هؤلاء الكفار إما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الأصنام أو من أولئك العلماء الزهاد الذين جعلت هذه الأصنام تماثيل لها، والأول باطل؛ لأنّ هذه الجمادات وهي الأصنام لا تملك شيئاً ، ولا تعقل شيئاً ، فكيف يُعقل صدور الشفاعة عنها ، والثاني : باطل؛ لأنّ في يوم القيامة لا يملك أحد شيئاً ولا يقدر أحد على الشفاعة إلا بإذن الله ، فيكون الشفيع في الحقيقة

---

١ - وانظر عقيدة العرب في وثنيتهم للمعلّمي /١٦٧- ١٧٢ .

هو الله الذي يأذن في تلك الشفاعة؛ فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره ، وهذا هو المراد من قوله (قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)". (١)

– وقال عند قوله تعالى (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم...) " اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على المشركين ، وقد ذكرنا أنّ المشركين كانوا يقولون ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله ، فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله وهم الملائكة، ثم إنهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالاً وصوّروه واشتغلوا بعبادته " (٢) .

۞ وقد أثار القبوريون على هذا الأصل المحكم بعض الشُبَه، وفيما قُرّر لك ما يستأصل شُبَههم وما ينازعون به من متشابه، ويأتي تنزيل هذه الأصول على أوردوا من شبه في شرحنا لكشف الشبهات .

بيان بعض ألفاظ القاعدة:

۞ (**أَرْبَابًا**) أي آلهة، والقاعدة: أنّ هذين اللفظين يتناوبان إن جاءا في سياق ما أثنى عليه الله ، أو سياق دعاء الأنبياء أو دعوتهم، وغير ذلك مما يحبه الله ، وكذا إن جاءا في سياق ذمّ الله لفعل المشركين كهذه الآية.

---

١ - في تفسيره ٢٨٥/٢٦ .
٢ - المصدر السابق ٢٣١/٢٠ .

۞ (**الْوَسِيلَةَ**) : هي القربة، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: ولا خلاف في ذلك بين المفسرين . [١]

۞ (**اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ**): اللات: صخرة بالطائف، والعزى: شجرة بين مكة والطائف، ومناة: صخرة بين مكة والمدينة، [٢] وهي أسماء لرموز الصالحين عند أهل الحجاز، لذا لاشتقّوا لهم من أسماء الله .

۞ (**يعكفون عندها**): العكوف معناه: البقاء عندها مدّة تقرُّبًا إليها، فالعُكوف هو: البقاء في المكان.[٣]

۞ (**وينوطون بها**): أي يعلقون أسلحتهم بها تبرّكاً ، زعماً أنها تكون أمضى للسيف وأقوى وأشد. [٤]

---

١ ـ في تفسيره ١٠٣/٣ .
٢ ـ الجامع الفريد على كتاب التوحيد للجار الله /٤٥-٤٦ ، وقال العلامة ابن باز: اللات رجل صالح، من شرحه المسجل للرسالة .
٣ . من شرح الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى .
٤ ـ التعليق المفيد على كتاب التوحيد للعلامة ابن باز/٧٦ .

القاعدة الرابعة:

➢ **قول المصنف:(القاعدة الرابعة: أنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين، لأنّ الأوّلين يُشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركوا زماننا شركهم دائم؛ في الرخاء والشدّة. والدليل قوله تعالى: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)[العنكبوت:٦٥]) .**

- معناها:

بعد أن صوّر المصنف ـ رحمه الله ـ شرك الأولين، وأنه لا فارق ـ خلافاً لما يزعمه القبوريون ـ بين مشركي الأولين ومشركي زماننا، أراد أن يقرر في هذه القاعدة أنّ شرك مشركي زماننا أشدُّ شركاً من الأولين .

- أهميتها:

ترد هذه القاعدة غلى من زعم :

أ- أنّ الشرك لا يوجد في هذه الأمة .

ب- أو أنّ من قال لا إله إلا الله بلسانه لا يحكم عليه بشرك، ولو ناقضها بعمله.

- أدلتها:

(١) أن مشركي الأولين كانوا يخلصون لله في الشدّة؛ كما في قوله تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} سورة العنكبوت(٦٥)، وقوله: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} سورة يونس(٢٢)، أما مشركي زماننا فيروون عن أوليائهم أنهم هم الذين ينقذون السفن.[١]

(٢) أن مشركي الأولين يدعون أناساً من أصلح الناس، أما المتأخرون فيدعون أناساً يرون عنهم قصص الفسق والفجور،[٢] ذكره المصنف في " كشف الشبهات".

(٣) ثم بلغ شرك المتأخرين أنهم ادّعوا في أوليائهم أنّهم أوتاد يصرفون الكون، وهذا أبلغ من شرك الأولين .[٣]

(٤) أن المتأخرين أشد خوفاً وتعلقاً بأوليائهم وتفنناً في شركهم .[٤]

---

١ - انظر قصصهم في ذلك : الآيات البينات لعلي بابكر /١٣- وتذكير الناس بمناقب آل العطاس /١٤١-١٤٨ .

٢ - انظر قصصهم في ذلك: هذه هي الصوفية /٦٨و١٠٩، وكنوز السعادة الأبدية في مناقب الشجرة الحبشية/٢٣٧.

٣ - ذكرها الشيخ العلامة ابن باز في شرحه على كشف الشبهات، وانظر تطهير الاعتقاد /٢١، والمشرع الروي في مناقب آل باعلوي/٢١١-٢١٢.

٤ - انظر جهود علماء الحنفية في الرد على دعاة القبورية للشمس الأفغاني ١٢١٠/٣.

- تأصيل القاعدة :

هذه القاعدة قررها المصنف ليجعلها أصلاً محكماً يدفع به كثيراً من الشبه النفسية العاطفية التي يشوش بها القبوريون، ويستميلون بها قلوب العامة والجهلة لما تضعف شبههم الاستدلالية بما سبق من قواعد علمية تأصيلية .

والسائر إلى الله لا بدّ له من أصول من العلم المحكم تقوده وتوجهه، وطاقات إيمانية تشحذ همته وتحث سيره إلى الله، قال ابن القيم رحمه الله: " وكمال كل إنسان إنما يتم بهذين النوعين: همة ترقّيه، وعلم يبصره ويهديه"(١).

= ومن هنا يتضح :

١- أن شهادة التوحيد المقبولة من شروطها: " النطق على سبيل الالتزام؛ أي يلتزم أن يعمل طول عمره بمضمون كلمة التوحيد ولا يخالفها .. بل لو قيل بأن جانب الالتزام هو المغلّب في شهادة أن لا إله إلا الله لما كان بعيداً"(٢)؛ ولذا أبى النطق بها المشركون الأوائل، ولو علم المشركون في زماننا أن معنى لا إله إلا الله هو ما يعنون بلفظ السيد؛ لأبوا أن يقولوا : لاسيد إلا الله !!

٢- أن يعلم أن الشارع " لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله،

---

١ - مفتاح دار السعادة ٤٦/١.

٢ - مخطوطة بعنوان " العبادة " للمعلمي عن كتاب حقيقة التوحيد، د. العلياني /٧٣.

فإن شكّ أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه "، من مسائل كتاب التوحيد/ الباب السادس.

- نقل عن الرازي إمام أئمة الأشعرية الصوفية :

قال الرازي مقرراً وقوع الشرك:" ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر، على اعتقادهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله " [1].

۞ وقد أثار القبوريون شبهًا حول هذا الأصل يأتي دحرها في شرح "كشف الشبهات" إن شاء الله .

۞ قول المصنف (**تمت، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم**).

تمّ إملاء هذا الشرح في ليلة الأحد/ ٦/١٤٢١ هـ،

بمسجد أيوب – سيئون،

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

١- تفسيره ٦٣/١٧ .